

الاسلام من جديد
(٩)

أَمْ كَانَا مِنْ جُنَادِهَا لِلدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

سيد الدين خان



محمد رضا

اَمَّا كَانَا حُجَّةً لِلدَّعْوَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ
وَحَيْدِ الدِّينِ خَانَ

تقديم

منذ بدء البشرية وإلى القرن السابع الميلادي ظل الأنبياء مضطلعون بمسؤوليات إبلاغ الرسالة الإلهية إلى البشر . وكان العمل النبوي يتمتع بالمعجزات لتأييد صدق الرسالة . كانت المعجزات أدلة غير عادية تشهد لصدق الرسالة التي جاء بها النبي إلى قومه .

ولا تزال مسؤوليات الدعوة وإبلاغ الرسالة باقية ومطلوبة بكل قوة وشدة ، لكن بدون أن يتمتع الداعي بالمعجزات .

إن حكومة ما حين تعين حراساً للغابات ، تقدم لهم الأسلحة الضرورية للدفاع عن أنفسهم في مواجهة الوحوش فكيف للذات التي تتبع منها كل الرحمة والرفقة بالعباد . أن تكلفنا بهذه المسؤولية ولا توفر لنا الوسائل والإمكانات التي تتيح لنا القيام بالواجبات الملقاة على عاتقنا ؟

الحقيقة هي أن الله تعالى وفرّ للدعاة في عصر ما بعد النبوة إمكانات تنوف الإمكانات التي هيأها لهم في العصور الماضية . فهو تعالى قد غير مجرى التاريخ البشري حتى نحصل على التأييد والإمكانات لأجل الدعوة . في

ظروف عادية ، على غرار التأييد والإمكانات التي لم يكن أمثالنا يحصلون عليها إلا في ظروف غير عادية ... هذا، بعض النظر عن أننا فشلنا في إدراك هذا المبر في العصر الحاضر فأخففنا في الاستفادة من الإمكانيات التي وفرتها لنا الثورة العلمية والفكرية الحديثة .

إمكانات جديدة للدعوة الإسلامية^(١)

بصف القرآن الشرك « بالظلم العظيم »^(٢) ، أما (التوحيد) فبصفه كتاب الله بأنه هو « الحق »^(٣).

وكان نظام الحياة البشرية ، منذ قديم الزمان ، يقوم على أسس الشرك ، وكان كل الأنبياء والرسل ينهون الإنسان إلى خضورة الشرك ومضاره ويدعونه لإقامة نظام حياته على التوحيد لكي يفوز برضى الخالق في كلا العالمين الأدنى والآخر. ولكن الشعوب قبل الإسلام لم تلتزم بتعاليم الأنبياء ، وكانت استقامتها للرسالات السماوية مؤففة أو الرفض الكلي . والنبي العربي ﷺ ، هو أول من تمكن بمحبته الله ، من زحزحة الشرك نهائياً وأحل محله التوحيد . وكان من نتائج هذه الثورة الفكرية أن انتهى نفديس المظاهر الكونية ، لأول مرة في تاريخ البشرية ، وانفتح أمامها درب تسخير الكون ، الذي يسمى الآن بالعلوم الحديثة.

إن مؤرخي الحضارة الحديثة يواحبون سؤالاً أساسياً . هو : لماذا تأخر الإنسان في استغلال الموارد الطبيعية بالرغم من توفر العقل لدى البشر منذ القدم ؟ فالإنسان يسكن الأرض منذ مئات الألوف من السنين ، ولكن موارد الطبيعة لم تستعمل بالأسلوب الحديث إلا منذ بضع مئات السنين . وقد أصاب المؤرخ نوبيني^(٤) (١٨٨٩ - ١٩٧٥) حين رد على هذا السؤال قائلاً : إن الإنسان القديم كان ينظر إلى الأرض كإلهة ومعبودة وكانت كل مظاهر الطبيعة على الأرض وحولها آلهة لدى

(١) ألفي المؤلف هذا الخطب خاصة البيريل المهدي لجامعة دار السلام الإسلامية بمصر آباد مي حربي الهند ، في ١٧ أبريل ١٩٧٧ ، وترجمه عن « الرسالة » ، عدد يونيو ١٩٧٧ .

(٢) لقاصد : ١٣

(٣) يوسف : ٣٢

(٤) ريفرر دايحت . عدد مارس ١٩٧٤

الإنسان القديم المشرك . ولم يكن الإنسان القديم قادراً على تسخير موارد الطبيعة لخدمة البشرية ما دام قد ظل يعاني من هذه الحالة النفسية . وعقيدة التوحيد هي التي فضت على الاعتقاد بالوهمية الأرض ومظاهر الطبيعة وأوضحت للإنسان أن كل شيء هو من مخلوقات الله وبذلك تومرت الحالة النفسية التي نسمح للإنسان بتسخير الطبيعة واستغلالها .

وأول من فطن إلى إمكانيات تسخير الطبيعة هم العرب الذين غير الإسلام شاكلتهم الفكرية . وكان من نتائج فكرة التوحيد أن أصبحت العقيدة العلمية المدققة والباحثة عن أسرار الطبيعة نهيم على علماء العرب ، الأمر الذي أدى إلى بروز حضارة عظيمة . وأخذت آثار هذه الحضارة تصل إلى أوروبا عبر إيطاليا في القرن الثالث عشر . وأصبحت الأندلس وصقلية من مراكز هذه النهضة الحضارية . وقد اعترف المؤرخون الجدد ، بصفة عامة ، بأن السبب الأول والأساسي في النهضة الأوربية هو تأثير « البطولات » العلمية التي قام بها أتباع النبي العربي في الأندلس (٧١١ - ١٤٩٢ م) .

وقد كتب بريفالت بقول :

« لا يوجد من جانب في النهضة الأوربية يخلو من التأثير الحاسم للحضارة الإسلامية . ولكن هذا التأثير ليس أكثر وضوحاً وأهمية منه في ظهور القوة الجديدة التي نعتبر أكبر سر لنجاح هذه النهضة ، ألا وهي القوة الكامنة في العلم وأسلوب الفكر العلمي » .

ثم يستطرد قائلاً :

« إن من الممكن جداً أن الحضارة الصناعية لم تكن لتقوم أبداً لولا العرب^(١) .

Briffault, Making of Humanity. p 202.(١)

ولم تكن النتيجة الوحيدة لانهابة نقديس الطبيعة أن تغيرت فكرة الإنسان ونظرته للعالم الخارجي فقط، بل انسحب هذا التأثير على جميع جوانب العلاقات البشرية . فكما كان النظام المشرك يعتبر كل شيء مضيء وبراق معبوداً ، كان يعتبر البشر البارزين، كالملوك ورجال الكهنوت الديني، أيضاً، من أولاد الآلهة أو المرتبطين بهم بعلاقات خاصة لا تنوفر للعامة من الناس. وهكذا كان كل إنسان يتمتع بخواص غير عادية يحصل في النظام المشرك بأهمية غير عادية.

وبعد تحطم النظام المشرك وغلبة التوحيد ، نهائياً ، بسبب الثورة الإسلامية ، قضى على العقلية البشرية التي كانت تربط عظمة البشر بمعنذات فوق طبيعة. فأصبح كل البشر متساوين أمام الخالق وانعدم الأساس الخرافي الذي كان يميز بين إنسان وآخر . إن نظام التوحيد قد جرّد الإنسان من خرافة الشرف الأساسي أو الموروث ومن أي امتياز لا يقوم على سلوكه الذاتي. والثورة التي فجرها رسول الإسلام ، على أساس فكرة التوحيد رسخت عظمة الإله الخالق وأكدت على تساوي كل البشر أمامه فحطمت النظام المشرك . وبدأت البشرية تسير على درب جديد ، وتغيرت عقائد البشر ، واختفى النظام الكهنوتي والملكي القديم تحت أنقاض هذا الحطام، واندثرت الإمبراطوريات التي كانت تتحكم برفاق الناس باستغلال المفاهيم المشركة . وهكذا بدأ التغير الذي فتح عصراً جديداً في تاريخ البشرية .

لقد بدأ روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) كتاباً له بفقرة شهيرة تقول :

(لقد خلق الإنسان حراً ، ولكنني أراه مكبلاً بالأصفاد ..)

إن هذه الفقرة ، في حقيقتها ، صدى لكلمة صدرت من الخليفة الثاني عمر الفاروق (٥٨١ - ٦٤٤) م قبل روسو بأحد عشر قرناً ، لبس كفيلسوف خيالي ، بل كحاكم أعلى للدولة الإسلامية يشرح السياسة لأحد مرؤوسه :

« منى استعبدتم الناس وقد ولدتهن أمهاتهم أحراراً » !

وقد اعترف الباحثون من غير المسلمين ، بصفة عامة ، بهذا التأثير الإسلامي على تاريخ البشرية . يقول الدكتور هيرالال نشور (الأستاذ بجامعة كلكتوتا) في مقال له :

« إن التاريخ الحديث يقول : إن مبادئ الحرية والمساواة والأخوة نتاج للثورة الفرنسية ، ولكن أول شخص أعلن هذه المبادئ هو مؤسس الإسلام قبل أربعة عشر قرناً » ^(١)

إن الأحداث التي شهدتها العالم الطبيعي والتاريخ البشري أحدثت هي نتائج مادية للثورة التوحيدية . فقد شررت في الولايات المتحدة الأمريكية مؤجراً دائرة معارف تسمى « الإنسان وآلته » وتحتوى أبحاثاً حول مختلف الأديان . وقد كتب في الإسلام أحد الباحثين المسيحيين واعترف فيه بوضوح أن « ظهور الإسلام قد غير مسار التاريخ البشري » ^(٢) .

وهذه « الثورة الفكرية » التي فجرها الرسول ﷺ وصحابته ، عليهم رضوان الله ، كانت تقوم على فكرة الرغبة والترهب من يوم الحساب (الآخرة) . وكانت لهذه الثورة آثار بعيدة المدى في المخلات الدنيوية . ومن أهم هذه الآثار نهاية الأحوال والظروف التي كانت تفسد نفث حمر عثرة أمام الدعاة إلى الحق . لقد أصبحت الدعوة الآن أمراً سهلاً بينما كان دعاة العصور الماضية يواجهون تحديات حسيمة مثل التهديد الذي واجهه فرعون الذين آمنوا بدعوة موسى عليه السلام :

(لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أحصين) ^(٣) .

^(١) Illustrated Weekly of India (Bombay) , April 15 , 1973 .

^(٢) Man and His Gods, p. 389 .

^(٣) الشعراء ٢٩ .

إن هذه الثورة حطمت البنيان الفكري الذي أضفى على الأساطير والأوهام مكانة علمية ، فظهرت للإنسان آيات الله الكامنة في الكون ، ولذلك لم تعد المعجزات ضرورية للقيام بالدعوة وأمكن التذليل على الدعاية بالعلوم الإنسانية نفسها . هذا التحول في محرى التاريخ ، الذي بدأ في القرن السابع الميلادي ، قد وصل إلى منتهاه في العصر الحاضر . فكل أنواع التأييد الذي يحتاج إليها الدعاة ينور اليوم في العلوم الإنسانية .

والثورات الاجتماعية والتشريعية مكتنا اليوم أن نفوم للدعوة جهارا دون أن نخاف من الفراعنة والتمارذ . فحقائق الكون لا ندحض أساطير الأديان الأخرى ، فحسب ، بل هي تؤكد علي « حقانية » الدين الحق . وهذه المشغيرات ، التي ظهرت بسبب ثورة التوحيد ، تحتاج إلى سفر ضخم حصرها . لكنني سأذكر هنا بعض أهم النتائج التي تمحضت عن هذا التحول الفكري :

أولا : فصل الإدارة السياسية

عن المعتقدات الخرافية

دعا إبراهيم عليه السلام ، قبل أربعة آلاف سنة ، سكان (أور) حاضرة العراف التقدم إلى الإيمان بالله الواحد الذي وحده بنفع و بعر ، ولا شريك له ، ولذلك عليهم أن يستعينوا به وحده ويعبدوه . وكان رد فعل الملك الكلداني المشرك « نمرود » شديداً لدرجة أنه ألقى بإبراهيم في النار . واليوم ، في أقر العشرين ، ننشر عقيدة الشرك بين غالبية سكان الهند ، ولكنك لو قمت بالدعوة الإبراهيمية ، فإن حكام نيودلهي لن يعاملوك معاملة نمرود لداعي إخن في عصره .

والسبب في هذا أن العصر قد تغير . فالشرك كان عقيدة سياسية في عهد نمرود ، بينما هو عقيدة دينية محدودة اليوم . وكان نمرود ، مثل الملوك الآخرين في

الزمن القديم ، يحكم الناس بإبهامهم بأنه مظهر « المعبودة » الشمس ، وأنه لذلك يتمتع بحق فوق طبيعي للحكم دون الآخرين . وعلى العكس من هذا ، فإن حكام الهند من المشتركين لا يعتبرون هذه العقيدة - الشرك ذات علاقة ما بالسياسة . فهم قد حصلوا على حق الحكم بسبب الأصوات الشعبية في الانتخابات وليس بناء على حق فوق طبيعي ، وهم لذلك لا يرون عقيدة التوحيد خطراً يهدد كراميتهم بينما كان غمرد يؤمن بأن هذه العقيدة ستقطع جذوره السياسية .

والأنبياء كانوا يصطلحون بالحكام في بداية الدعوة نفسها وكانت العقوبات توضع في طريقهم منذ الوهلة الأولى . وكان السبب في ذلك ارتباط أجهزة الحكم بعقائد فوق طبيعية . فقد كان ملوك الزمن القديم يدعون أنهم من أبناء الآلهة وأن الله قد حلّ في أجسادهم . وكانت دعوة التوحيد نقضي على جذور أباطيلهم السياسية وغمريهم من حقوقهم لتولي الحكم . وكانت هذه المصالح تحول دون قبولهم الحق . وقد أثبت الإسلام أن السلطة فوق الطبيعة لله وحده وأعلن أن كل البشر سواسية ولا فضل لإنسان على آخر إلا بالنقوى . وهكذا حرر الإسلام الإدارة السياسية من المعتقدات الخرافية . والسلطة الآن سلطة سياسة محضة ولا نصطدم بعقيدة التوحيد .

والثورة الفكرية التي فجرها الإسلام في جزيرة العرب وصلت أخيراً إلى أوروبا عبر آسيا وأفريقيا . وكانت الثورتان الجمهوريتان في فرنسا وأمريكا صدى لهذا التأثير . واكتمل هذا العمل التاريخي في القرن الحاضر . واليوم يستطيع الداعي إلى التوحيد أن يشرّ وينذر البشر دون أن يتعرض لتعقيدات العقائد السياسية . وكان مثل الداعي في نظام سياسي قديم كممثل شخص ينحصر الطب زاعماً أنه تلميذ لجان بلغمه أسرار الطب كل ليلة . فلو بدأ أحد سكان مثل هذا البلد ينادي ويدعو إلى تعلم الطب في كلية الطب وليس على أيدي الجنّ ، سيصبح المعالج المذكور من أشدّ معارضي هذه الحركة ، بينما لن يتعرض له طبيب آخر في ذلك البلد ممن تخرجوا من كليات الطب .

ثانياً : حرية الرأي

وكان عامة الناس لا يتمتعون بحرية الرأي في الزمن القديم بسبب الاعتقاد بارتباط السلطان الديني بغوى موفى الطبيعة. ولذلك كانت كلمات إنسان واحد يمنع بالسلطان بمثابة القانون . وحين فُضِيَ الإسلام على فكرة تمنع غير الله بغوى غير طبيعة ، بدأ تطور جديد يطرأ على فكر العالم كله . وبسبب كونه غريباً على عصره ، فقد اكتمل عمل هذه التطور في ألف سنة من الزمن . أما اليوم فإن تلك الفكرة، التي كانت تعتبر حفيضة بدون جدال في الزمن القديم، قد أصبحت تافهة فلا يوجد لها نصير في أي جزء من أرجاء المعمورة الآن . ولنا درس واضح في تاريخ اليابان ... لقد دخلت المسيحية اليابان في النصف الأخير من القرن السادس عشر على أيدي البرتغاليين وأخذت تنتشر هناك . فصدر مرسوم امبراطوري عام ١٦١٢م حرم اعتناق المسيحية والتبشير بها في اليابان . وظلت السلطات الحاكمة تنفذ هذا المرسوم لمدة مائتي سنة حتى استأنصلت جذور المسيحية من اليابان.

ولكن تطوراً آخر كان يجري بهدوء خلال هذه المدة . فآثار دُفَعَة الإسلام للتاريخ كانت قد وصلت إلى أوروبا وبلغت ذروتها السياسية في القرن الثامن عشر . وأصبحت حرية الفرد وحرية التعبير عن الرأي من حقوق الإنسان الأساسية المعترف بها . وهذه الأفكار ، التي وضعت في بداية الأمر في فرنسا ، أخذت تؤثر على سائر أجزاء العالم . ووصل الأمر في اليابان سنة ١٨٧٣ إلى إبطال المرسوم الإمبراطوري الآنف الذكر وإلى الاعتراف بحق الجمع في التعبير عن الرأي.

إن هذا التطور الجديد قد فتح كل الطرق والآفاق للدعوة إلى الدين الحق . والآن يستطيع الداعي أن يجاهر بالدعوة دون أن تتعرض السلطات في معظم أنحاء

العالم لإسكات لسانه أو قلمه . ولكن لا يزال من الممكن أن نضع نحن ، بسبب جهلنا وحماقتنا ، كل العراقيل التي أزالها الله من طريقنا لنشر الإسلام . فأي نذير ، مهما يكن عظيم الشأن ، لا يستطيع أن يحول دون حماقات الجهلة .

ثالثا : نذير ظواهر الكون وتسخيرها

كانت ظواهر الكون موضع تقديس وعبادة في الزمن القديم . وتمكن الإسلام : لأول مرة في التاريخ ، من جعل ظواهر الكون موضع نذير وتسخير . وكان الإنسان يركع أمام هذه الظواهر طالما اعتبرها مقدسة ومعبودة... وحين عرف أنها مسخرة ومخلوقة لمنفعته ، أخذ يحاول التوصل إلى حقائقها وأسرارها ، فبدأت حقائق الصبغة وأسرارها تنكشف أمام الإنسان . وبدأت « آراء » الله و « آياته » التي تشهد بوجوده وعظمته تظهر للإنسان واحدة بعد الأخرى حتى وصل الأمر في القرن العشرين إلى تحقق النبوة التي وردت في القرآن الكريم :

(سنرى آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

إن هذه النبوة القرآنية قد تحققت اليوم على أعظم نطاق لدرجة أن الأشياء التي كان الإنسان يؤمن بها بالغييب ، في الماضي ، أصبحت الآن مشهورة وحقائق واقعة .

فالإنسان القديم كان يظن أن الطبيعة تتكون من مجموعة وقائع بسيطة غير معقدة . ولكننا نعرف اليوم أن الطبيعة نفوذ على فوائد غاية في التعقيد والحكمة المتناهية . إن نظام الطبيعة يسير على أسس مناهية الإحكام لدرجة أنه لا يمكن تفسير هذه الأسس بدون الاعتراف والإيمان « بمهندس » عظيم وضع هذه الأسس والقوانين بمنتهى الدقة .

وكان الفلاسفة القدماء يقولون : لم لا نعترف بأزلية الكون بدلاً من أن نعترف بأزلية الخالق ؟ إن الحقائق التي توصل إليها العلم الحديث قد أبطلت هذا المنهج الفكري (وعلى سبيل المثال النظرية العلمية التي تعرف « بالانفجار العظيم Theory Big Bang » ترفض هذا المنهج الفكري الذي يقول بأزلية الكون) إن العلم الحديث قد اكتشف أن العالم قد خلق في وقت وزمن محدد ولذلك لابد من الاعتراف بأزلية الخالق وأبديته. وكان الإنسان القديم يعتقد أن عديداً من القوى تدير ظواهر الكون المختلفة من طبيعية وكيمائية وحياتية . ثم أخبرنا « بون » بأن ثلاثة قوى تدير الكون وهي قوى الجاذبية والمغناطيسية والذرية. ولكن اكتشاف « الجزيء المسحور» Charmed Paricle في الدرة، مؤحراً، قد قضى على فكرة نعدد القوى التي تدير الكون . والاعتقاد بفهم الآن على الفكرة الفائلة بأن قوة واحدة مسؤولة عن جميع ظواهر الطبيعة ووظائفها.

وهكذا فضى على كل أساس علمي بدعو للشرك ولم بعد أمام الإنسان من خيار سوى الاعتراف بالتوحيد . وأخذ العلم بقيم الأدلة على فكرة الحياة بعد الموت الديوي ، تلك الفكرة التي كانت تعبر غير قابلة للإثبات العلمي منذ سنوات قليلة مضت . ونطالعنا اليوم كتب بأفلام مؤلفين غير دينيين تحمل عناوين مثل « الحياة بعد الحياة » Life After Life

رابعا : نهاية أسلوب الفكر اللاعلمي

كان أسلوب الفكر اللاعلمي الغائم على الأوهام يسيطر على عقول الناس في الأرملة القديمة . وأهم حصائص الفكر اللاعلمي قبول فكرة ما دون محصها والتدقيق فيها . وأسلوب الفكر اللاعلمي كان يتيح للناس في العصور القديمة قناعة عقلية للشهرب من دعوة الحق عندما بدأ المسلمون بحطمون الأصنام الموضوع في

الكعبة، عقب فتح مكة ، كان ينبغي لعبدة الأصنام أن يتوبوا ويؤمنوا بالدين الحق . ولكنهم فروا من مكة ولجأوا الى الجبال معنقدين أن عذاباً ما سينزل بمكة لقطع دابر المسلمين الذين حطموا الأصنام . ولم يفكر هؤلاء بسبب مكرهم اللاعلمي ، أن الأصنام لو كانت قادرة على الخير والشر ، لما سمحت للمسلمين بدخول مكة ولما سمحت لهم بنحطتها .

إن الثورة العلمية تعني حلول الفكر العلمي القائم على الحقائق والوافاق محل الفكر اللاعلمي القائم على الأوهام . وبما أن النظام الكوني يسير على أسس غاية في الإحكام، فمن الطبيعي أن تؤدي نهضة العلوم الطبيعية الى قيام الاستدلال القائم على التجربة والتحقق من الأشياء بطريقة علمية بعيدة عن الأوهام والأهواء .

وكان الفكر اللاعلمي لا يحول دون قبول الناس في الأزمنة القديمة بالأفكار الوهمية الأسطورية ، فكانوا يقبلون بأية فكرة وهمية كتحقيقة وافعة . ولكن إنسان القرن العشرين لا يقبل بأية فكرة غير علمية . إن هذا المناخ الفكري قي فتح الباب على مصراعيه للدين الحق ، لأنه لا دين سواه يصمد أمام معايير التجربة والتحقق العلمي .

إن المسلمين لم يستفيدوا ، إلا قليلاً جداً ، من هذه الأرضية الجديدة ، ولكنهم بدأوا يحصلون على ثمارها ، بطريقة غير مباشرة . وعلى سبيل المثال ، فإن هذه الأرضية الجديدة هي التي فضت على الاستشراق القديم بالموثوق . وكانت أوروبا المسيحية ، عقب الحروب الصليبية ، بدأت تحرف ناريج الإسلام ونعاليمه ، بصورة منعمدة وظل هذا العمل التخريسي مسنرا لعدة فروع حتى امتلأت المكتبة الغربية بنتائج هذه العملية الجديدة . وقبل ظهور العلوم الطبيعية الحديثة ، لم يكن هذا الأسلوب غريباً في أنظار الأوروبيين . ولكن ظهور الفكر العلمي أبطل هذا الأسلوب وبدأ الاستشراق القديم يضمحل منذ عهد نوماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١) ، إلى

أن وصل نهايته في النصف الثاني من القرن العشرين .

خامسا : الفكر التاريخي بدلا من الفكر الاسطوري

لم يكن الإنسان القديم يميز بين القصة الأسطورية وبين الوقائع التاريخية ، فكان الناس يؤمنون بالأساطير الوهمية إيمانهم بالحقائق التاريخية . ولكن الفكر العلمي دعا ، تلقائيا ، الي فهم حقائق البشرية بالمنظور التاريخي وأسلوبه . وبسبب هذا الفكر العلمي ظهر المنهج النقدي المعروف « بالنقد الأعلى » Higher Criticism . وتبين من إخضاع الأدبائن القديمة لمختلفة معايير هذا المنهج النقدي أنها كلها غير دقيقة وغير موثوق بها تاريخياً . وأحدث الأديان ، بعد الإسلام هي المسيحية ، ولكن لا يوجد أي تسجيل تاريخي عن المسيح في التاريخ المعاصر له ، والوسيلة الوحيدة لمعرفة أحواله هي الأنجيل المشكوك في وثاقفيتها التاريخية . أما الإسلام فهو الوحيد من بين الأديان الذي ، كما قال فيليب حتي ، « ظهر في ضوء التاريخ الكامل » . إن جميع مكونات الإسلام ثابتة طبقاً للمعايير التاريخية الحديثة . فالإسلام حقيقة تاريخية وافة ، بكل معاني الكلمة ، وهو ليس بعلم على مجموعة أساطير موثوق بها ، كما هي الحال مع الأديان الأخرى .

إن الوثائق التاريخية لم تكن ذات أهمية في الأزمنة الغابرة . ولكن إنسان القرن العشرين لا يعير اهتماماً للأشياء والأفكار التي لا تثبت أمام المعايير العلمية . وهذا المناخ الحديد هباً فرصة كبرى لقول الناس الإسلام على مستوى لم يسبق له مثيل .

سادسا : البحث عن التفسير السماوي

إن منكري وجود الله كانوا دائماً يحاولون أن يبحثوا عن تفسير حقائق الأرض وظواهرها في أحوال الأرض نفسها ، كقولهم بأن الحياة نتاج لتفاعل العناصر الأرضية . ولكن الحقائق العلمية الحديثة قد أبطلت مثل هذه الأقوال الخرافية . وعلماء

اليوم مضطرون ليبحثوا عن تفسير سماوي لحقائق الأرض والنظرية الراجحة الآن ، بدلاً من نظرية الارتقاء، هي نظرية « بان سبيرما Panspermia » التي تعني أن الحياة لم تظهر على الأرض بصورة تلقائية عمياء ، بل قد أرسلت إلى الكرة الأرضية من الفضاء الخارجي بصورة متعمدة . وأصحاب هذه النظرية العلمية الجديدة يقولون إن هناك حضارة أكثر تقدماً من حضارتنا ، هي التي أرسلت الحياة إلى الأرض

وعلم التلك الحديث بحبرنا بأن العوالم الفضائية ليست غير غائبة هنا ، وهي لا تنفذ إلى العقل والشعور . فهناك فرائض وشواهد تحبرنا بأن هناك موجودات أكثر غفلاً وحكمة من الإنسان ، وهي مكن ما هي انفساء اأخارجي ، وهي على اتصال دائم ومستمر بأرضنا بوسائلها فائقة التقدم في المواصلات . وقد أنشئ فرع جديد في علم الفلك يسمى « علم الفلك الإشعاعي » Radio Astronomy . ويقوم هذا الفرع الجديد بإرسال الإشارات إلى الفضاء اأخارجي ويستقبل الإشارات الفضائية اأخارجية القادمة إلى الأرض ويدرسها . وقد أقيمت مؤسسات كثيرة في البلاد المتقدمة ، تنفرغ للاتصال بالموجودات العقلية المتقدمة في العالم اأخارجي . ومهما تكن نتائج هذه المحاولات ، فوهنا ثبت أن فكرة الوحي الإلهي لهداية الإنسان لم تعد غريبة ومستبعدة لدى الإنسان الحديث .

إن إكتشاف الطبيعة وتسخيرها فتح أبواباً لا حصر لها للترف المادي في العصر الحديث ، وبنى الإنسان حضارة ورقياً مادياً لم نشهدهما الأرض من قبل ووفر وسائل وراحة لم يحلم بها بشر فظ . ولكن الإنسان ، عندما وصل إلى قمة الرفي والترف ، اأكتشف أنه لن يحصل على الحياة المثالية الخالية من اأخوف والألم والحرز والسعور والإثم في هذه الدنيا . وعوامل الرفي ومظاهره حطمت نوازن الطبيعة . ولم يتمكن الإنسان من التغلب على الشبحوحة وانرض والموت . وأحفقت لواأح الحكومة وضوابط القانون في ضبط السلوك البشري . ولوأن الحضارة الألبية البر والبحر

بالفساد المادي والأخلاقي . وفشلت كل وسائل الترف المادي في إسعاد الإنسان ...

وبعد هذه التجربة بدأت حركة جديدة للبحث عن السعادة في أشياء غير مادية . والإنسان يحاول الآن أن يتوغل الى أعماق وجوده الروحي . وهذه الحركة الجديدة قد أسبغت أهمية كبيرة على الدين وعلم النفس . وبعد نحو قرن من التيه الفكري عاد إنسان العصر الحديث مرة أخرى الى حيث بنصت الى الكلام عن الله والدين وبندبره . لقد كان هناك « حنفاء » فلائيل يبحثون عن الحق في قديم الزمان ، أما عالم اليوم فيطفح بالباحثين عن الحق . فهل من مذكر .

إن الإسلام هو الذي أوجد هذه الأرضية الفكرية ، بصورة غير مباشرة ، ولكن ما أغرب أن أتباع الإسلام هم آخر من يعون ويستفيدون من هذا الوضع الجديد ؟

إن أشياء ومنغبرات كثيرة قد فنحت لنا باباً حديثاً تماماً لنشر الدين الحق والدعوة إليه . فأنت نستطيع اليوم أن تجاهر بالإعلان عن الرسالة الإلهية دون أن تعرض للنهر السياسي أو العائق النكري ، اللهم إلا أن نصد بأنفسنا هذا الباب بسبب جهلنا ، وذلك بأن ندخل مع حكام العصر في صدام كفى الله حركة الدعوة الإسلامية مفتحة .

سابعاً : أسلوب البيان العلمي

إن إحدى مظاهر الثورة الفكرية نتعلق بأسلوب البيان . وأسلوب الدعوة الفرآني يقوم على لغة الطبيعة البسيطة ، كقوله تعالى : (أفني الله شئك : ماطر السماوات والأرض) . ولم يكن الإنسان المثقف القديم بألف اللغة البسيطة فكان متأثر بلغة السحر والطلاسم أو بالفلسفة والمنطق السفسطي . ولذلك لجأ الصوفية الى البوغا والإشراق بينما لجأ المتكلمون الى الفلسفة اليونانية ، وقام الفصّاص بتأليف عدد لا يحصى من القصص الغريبة فأوجدوا قصصاً وأساطير « إسلامية » على غوط ألف

لغة ولغة.

ولكن الوضع قد تغير اليوم . فالآن ، بعد الثورة العلمية ، أصبح الأسلوب المقبول هو الذي استخدمه القرآن قبل ١٤ قرناً . إنه نصر لنا من الله عظيم . وليس لنا الآن أن نضيع وقتنا في البهلوانيات الروحانية ولا أن نبرع في فن القصة والتفلسف . يمكننا اليوم أن نضع نعاليم القرآن أمام الناس بنفس الأسلوب القطري الذي نزلت به . فلو قمنا بنشر تراجم القرآن الكريم وكتب عن سيرة الرسول وحياة الصحابة . باللغة البسيطة والأسلوب الواقعي ، بمختلف اللغات العالمية ، لأقمنا الحجة على شعوب الأرض.

ثامناً :توفر الوسائل

إن النهضة العلمية وانتشار وسائل الطبع والاتصال قد فتحت إمكانيات لا حدود لها للقيام بالدعوة . فإذا كان صوت المسيح لم ينعقد حدود منطقة صغيرة من فلسطين في حياته ، فإن أتباعه ينقلون الديانة المسيحية إلى ألغبي لغة اليوم وينشرون صوت المسيحية في كل بقاع الأرض . إن هذا الفارق بين أمس واليوم هو الفارق بين الزمن القديم والزمن الحديث . وإمكانيات اليوم توفر النخطيط للدعوة على نطاق عالمي من أي مكان من الأرض ، ووسائل الإعلام الحديثة قد أخرجت الدعوة من إطارها المحلي والإقليمي المحدود إلى آفاق عالمية رحبة.

ولم يكن المسلمون في العصر الحاضر بغادرين على استخدام الوسائل الحديثة

لنشر الدعوة ، بسبب نخلفهم الاقتصادي . ولكن الله تعالى قد أزال هذا الحاجز بإخراج خزائن النفط من باطن الأرض ، فمكّن المسلمين من دفع أغلى الثمن للقيام بهذه المسؤولية بفعالية كبرى .

إن ربنا قد أزال العوائق السياسية والفكرية كما أزال العوائق المادية والاقتصادية التي كانت تحول دون القيام بالدعوة بالفعالية المطلوبة . ولو لم يقم المسلمون بالدعوة ، بعد هذا النصر الإلهي المدهش ، فليعلموا جيداً أنهم لن يفلتوا من بطش الله ، مهما كانت الواجبات التي يقومون بها من دون الدعوة .

إن عقيدة الشرك كانت الغالبة في الزمن القديم تماماً كما تسود فكرة حربة الإنسان كل أنحاء العالم اليوم . وغلبة الشرك كانت قد أفاقت عرائق مصطنعة كثيرة في وجه دعاة التوحيد فلم يكونوا بقدرهم على إبلاغ الدعوة الإلهية إلا بالمرور عبر النار والدم .

والثورة الفكرية التي أحدثها آخر الأنبياء ﷺ ، قد أزالَت الشرك كعقيدة غالبة ، فبدأ تطور فكري جديد في التاريخ . وبعد نحو ألف سنة من ظهور الإسلام انفسخت هذه الثورة إلى شطرين ، فبقي الشطر الديني داخل العالم الإسلامي بينما انتقل الشطر الدنيوي إلى الغرب حيث ظل يتطور وينمو ، فبلغ الكمال خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . إن أفكار الجمهورية وحرية الرأي والفكر العلمي هي النتائج الدنيوية الفكرية التي أحدثها الإسلام .

وهذه النتائج الدنيوية قد فتحت آفاقاً جديدة لم تكن نحلم بها لنشر دعوة الحق . فمن ناحية أمكن نشر رسالة التوحيد في مناخ حر تماماً ، وبكل قوة ، ومن ناحية أخرى مكنتنا المطبعة ووسائل الإعلام الحديثة من تنظيم الدعوة الإسلامية على

المستوى العالمي . لأول مرة في التاريخ . ولكن حين نوفرت هذه الإمكانيات . اتجهت الحركات القائمة باسم الإسلام نحو السياسة بدلاً من الدعوة ، واصطدمت بحكام العصر ، وبأسلوب جديد خلقت نفسها كل تلك المشكلات التي أزالها الإسلام بثورته الفكرية على مدى ألف سنة .

ولم يحدث في تاريخ الإسلام ما أكمله واقع كهذا الواقع ، وهو أن جميع الحركات الإسلامية رأَتْ أن المواجهة السياسية هي المطلوب الوحيد منها ، فجعلت من الإسلام نداءً للسلطة . بعض الحركات ففر في ميدان السياسة منذ البداية وبعضها الآخر انحرف الى « الجهاد المقدس » في مرحلة تالية .

إننا في اللحظات نفسها التي اكتمل فيها التطور التاريخي وفتح لنا آفاقاً عظيمة للدعوة ، انشغلنا ، بمتهى الخفاقة في حرب سياسية لن يخرج المسلمون منها بنتيجة ما دينياً أو دنيوياً . والبدل الوحيد لتلامي هذا الخطأ هو أن نترك الألعب السياسية بصورة كاملة ونبدأ على الفور العمل على إيلاء رسالة القرآن والسنة الى سكان المعمورة ، لتأدية واجباتنا « كشهداء على الناس » .

مسؤوليات الدعوة

إن للإنسان قضية أبدية واحدة في نظر الإسلام، ألا وهي قضية الآخرة. ودعوة البشر إلى رسالة الحق وإنذارهم من يوم الحساب هي الجهاد المطلوب دوماً من كل مسلم وقد تضمنت هذه المسؤولية بسبب توافر امكانيات هائلة لنشر الدعوة في العصر الحديث.

الدعوة هي الجهاد

لا شك في أن الجهاد افضل عبادات في الاسلام . ولكن القول بأن الجهاد هو القتال قول خاطئ تماماً مثل حذف الجهاد من الدين . واخليفة أن جهاد الأمة المحمدية هو الدعوة . إن القرآن الكريم يخبرنا بأن بذل الطاقة لأجل شهادة الحق هو الجهاد : « وجاهدوا في الله حق جهاده . هو اجنباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ، ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » (١)

وفي مكان آخر يأمرنا الله تعالى : (فلا ترفع الكافرين وجاهدكم به (القرآن) جهاداً كبيراً) (٢)

(١) الخج : ٧٨

(٢) الفرقان : ٥٢

والله تعالى قد اعتبر الدعوة (فولاً ثقبلاً)^(١)

ان الدعوة والتليغ من أعظم الأعمال وأشرفها ، والذي يهب نفسه لهذا العمل يصل الى مرحلة (لعنك باعع نفسك)^(٢) .

ولكن من أفدح الأخطاء التي ارتكبتها الحركات الإسلامية الحديثة أنها ظنت أن الجهاد هو القتال والعويل السياسي^(٣) . وكانت النتيجة أن تحول ميدان الجهاد ، بدلاً من الدعوة ، الى النشاط السياسي ولم يبق لإرواء عاطفة الإيمان الجياشة سوى سبيلين اثنين : استخدام السيف إن سمحت الظروف أو الخطابة . إن معسر والجزائر والهند تقدم أمثلة واضحة لهذا الإنحياز .. لقد ضحى الملايين من المجاهدين في هذه المناطق في حربها ضد « الإستعمار » أو « السلطة الفاسدة » ، وحين انتهت هذه الفرصة لم يجدوا سوى إثارة الطوفانات الكلامية من خطابة وكتابة ، وحين انتهت هذه الفرصة الأخيرة أيضاً أقروا إلى الزوايا والتكايا واشغلوا بالنسيجات الصوفية .

إن الجهاد هو القوة التي تمكن الإسلام في الأرض . فبم لم يفرز الإسلام بالنسكن في هذا العصر بالرغم من إثارة عاطفة الجهاد على هذا المستوى الضخم ؟ والسبب ليس إلا أن عاطفة الجهاد لم تجد لها المنفذ الصحيح فانسابت في مختلف الاتجاهات وضاعت ، تماماً كما يفسد بهر عظيم كل مياهه في البحر بينما تقوت الحقول الواقعة حوله لعدم توفر الماء ، لأن أصحاب الحقول لم يحفروا القنوات اللازمة لإيصال المياه الى الحقول .

(١) المزمّل : ٥ .

(٢) الشعراء : ٣٠ .

(٣) لا شك في أن الدفاع عن الوطن ومصد العروات الخارجية من الجهاد ، ولكن حاجته نزول بزوال العدوان والعربو الخارجي ، أما جهاد الدعوة فهو مطلوب نفسه ، وبمى كل الظروف ، وحين خلال الحرب مع الأعداء لكي يهتدوا الى سبيل الحق .

إن الدعوة لا تعني ، البتة ، أن نفخ بضع كلمات في أذن شخص ما ولا أن تتفد أسلوب حياته المنحرف . إن الدعوة عمل يتطلب غاية التضحية ولا تظهر الى الوجود إلا حين بضحي الداعي بوقته وعواطفه وماله وكل ما يملكه . إن القرآن يأمر بأن يكون الداعي في غاية النصح للمدعو ، وأن يكون كلامه قولاً بليغاً يفهمه المدعو ، وأن يصبر على الأذى الذي يلحقه من المدعو ، وأن ينفق كل ما يملكه في سبيل الله ، وأن يدعو للمدعو بدلاً من الغضب على إغراضه عن دعوة الحق ، وأن يسعى لنألبف قلبه ، وأن يشعر هذا العمل حتى نهاية عمر الداعي . إنك لو بدأت هذا العمل ، وراعت كل آدابه ، وآتبه حقه ، فهو عمل عظيم وشاق للنفس ، بهز أقوى البشر ، حتى لا يرى أبداً أن قد أدى حق هذه الأمانة .

وفد أضيفت الآن طرف جديدة كثيرة الى أساليب الدعوة في العصور القديمة . ولذلك قد اتسع عمل الدعوة اتساعاً كبيراً في العصر الحاضر فيما يتعلق بالوسائل والندابر . والحقيقة أن أمور النفط كلها لا تكفي لجهاد الدعوة ونبلغ الرسالة . إن الأديان الأخرى ، كالمسيحية ، فد أدركت هذه التغيرات العصرية وقد استخدمت الوسائل الحديثة استخدماً مكثفاً لنشر أديانها . والمسلمون متخلفون في هذا المضمار ولا يملكون الشعور الصحيح عن آفاق الامكانيات الحديثة . إن الدعوة أمر عادي لديهم لدرجة أنهم يتعجبون من أن يكون هذا العمل البسيط هو عين الجهاد .

هذا ليس بعذر

إن بعض الناس يقولون : « إن المسلمين أنفسهم فد نخلوا عن الإسلام فكيف لهم أن يدعوا الآخرين الى الإسلام ؟ » . إنه لا علاقة لمثل هذا الاعتراض بالدين والشرعية . إن النبي محمد ﷺ بدأ ينشر الإسلام بين المشركين ، ولكن الأنبياء

الآخرين قد بعثوا عموماً إلى « المسلمين الفاسدين » في عصورهم . وأسلوب هؤلاء الأنبياء في التعامل مع المسلمين الفاسدين هو عين الأسلوب الذي ينبغي علينا اتخاذه أسوة ، تماماً كما نتخذ من أعمال النبي الكريم أسوة لنا ، فقد أمر القرآن الكريم صراحة : (فبهذا هم افتاءه)^(١).

وأذكر هنا مثال موسى عليه السلام الذي بعث إلى بني إسرائيل في مصر . وقبل ظهور الأمة المحمدية كان بنو إسرائيل هم « المسلمون » تماماً كأمة الإسلام اليوم ، وكذلك كان بنو إسرائيل مسؤولين عن إبلاغ الدعوة إلى الآخرين تماماً كما نحن مسؤولون عنها اليوم . وكما أننا (حبر أمة)^(٢) فلأسباب نفسها قال الله تعالى لبني إسرائيل : (فضلّكنكم على لعائن)^(٣) ، في تلك العصور حين كانوا حملة الأمانة . ومن المؤكد أن بني إسرائيل ، عندما بعث موسى عليه السلام ، كانوا يعانون من كل النقص الذي يعانيه المسلمون المعاصرون . ولكن أمر إبلاغ الدعوة إلى غير بني إسرائيل لم يؤخر ، فببما أمر الله تعالى موسى بإصلاح بني إسرائيل دينياً وحلفاً^(٤) ، أمره كذلك بأن يبلغ أقباط مصر رسالة الله : (اذهب إلى فرعون ، إنه طغى)^(٥) .

إن الله تعالى لم يأمر موسى بالانكفاء بإصلاح بني إسرائيل فقط لبعدهم عن الإسلام ، بل أمره بأن يبلغ الرسالة إلى غير المسلمين في نفس الوقت الذي يشغل فيه إصلاح شعبة .

إن أعمالاً عديدة نستمر عندما بناء على الفكرة التي نقول : « إعداد المسلمين أولاً » . وقد توفي مؤسس هذه الأعمال سنة ١٨٩٨ م ، ولا يزال يستمر هذا

(١) الأنعام : ٩٠ .

(٢) البقرة : ١١٠ .

(٣) البقرة : ١٧٧ .

(٤) نراجع سورة يونس : ٨٧ .

(٥) طه : ٢٤ .

العمل بدون أن يتعطل يوماً واحداً . وبكلمة أخرى ، لدينا حركة تقتصر عملها على إصلاح المسلمين وحدهم ، ونشاطها مستمر منذ أكثر من قرن . والآن ، بينما يدعي مؤيدوها أنها أصبحت حركة عالمية ، لا توجد اليوم في الهند (حيث مركز هذه الحركة) قرية واحدة أو حي واحد يمكن الادعاء بشأنه بأنه ، طبقاً للمعيار المذكور ، أصبح مؤهلاً وفادراً على دعوة الآخرين إلى الاسلام .

إن في بلادنا (الهند) نفسها أكثر من مائة ألف شخص يدنون يوماً ، أما على المستوى العالمي فنحو مليون شخص يعبرون بوابة الموت كل يوم . فما أعجب أنه بينما يموت مليون من البشر كل يوم وهم يجهلون رسالة الحق ، نحن نضيع قرناً كاملاً متعللين بأننا لا نزال بعد المسلمين ونصلحهم ! وما أكثر إثارة للدهشة من أن يأتي هذا الرد من أتباع النبي كان يقول إن الناس ينساقون في النار كالنفرات وأنا أحاول بكل قوتي أن أنقذهم .

إننا كلنا نعرف أن الصلاة مطلوبة منا ولو كانت المخارج الصونية لأحدنا غير سليمة ، ولو كان أحدنا لم يحفظ بعد القدر الكافي من الآيات القرآنية . ولا يتجراً عالم من العلماء أن يفتي ، لشخص مصاب بعادة سرية ، بالأ بفرب الصلاة حتى يصلح عادته السرية . ولكننا ننسى هذا المبدأ الشرعي حين يتعلق الأمر بأداء واجبنا نحو دعوة الآخرين إلى دين الحق . وهل من سبب لهذا التناقض الإجرامي سوى أننا نعرف أهمية الصلاة بينما نهمل أهمية شهادة الحق والدعوة إلى الله إننا لا نزال نذكر الدرس القائل بأن أول مؤال يوم الحساب سيكون عن الصلاة ، ولكننا نسينا حقيقة أن إبلاغ الآخرين رسالة الحق فريضة على الأمة المحمدية تماماً كفریضة الصلوات الخمس كل يوم .

إمكانات الدعوة الإسلامية والنفط

بدأ النفط يتدفق من باطن الأرض سنة ١٨٥٩ حين نجح الأمريكي إيدوين دريك في استخراج النفط من بئر في بنسلفانيا بلغ عمقه سبعين قدماً . وفي الشرق الأوسط استخرج النفط لأول مرة سنة ١٩٠٨ من منطقة مسجد سليمان . إن النفط سر قوة العالم الصناعي ونهضته وأهميته للصناعة كأهمية الماء للزراعة أو الدم للجسد البشري . والمدهش أن فئراً من الثورة النفطية مدفون تحت تراب الشرق الأوسط أو منطقة الخليج . والشعوب الصناعية الغربية كانت تتحكم في هذه الثروة إلى حد كبير منذ بداية القرن . إن سر نهضة هذه الشعوب ونفوذها يكمن في الوفود الرخيصة التي كانت تحصل عليها باستمرار من الشرق الأوسط . إنها كانت تنفوس بوفود العالم الإسلامي ثم تتحكم في بلاد المسلمين .

وفد استخدم سلاح النفط لأول مرة في حرب أكتوبر ١٩٧٣ كسلاح دفاعي اضطراري ، وعند ذلك تنبه العالم كله إلى أن النفط قوة وأنه يستطيع أن يهز العالم الصناعي ولو استخدم بصورة جزئية .

ويقال عن تجمع هذه الثروات النفطية في منطقة ما أنه « حادث جغرافي » . ولكن الأمر الأكثر وثوقاً من هذا القياس لجبراء طبقات الأرض هو ما بخبرنا به القرآن بأن كل ما يحدث على الأرض لا يحدث إلا بناء على أحكام الله وتدبيره سواء

أشاهدت العيون البشرية يد الله وراء الأحداث أم لم تتمكن من مشاهدتها .
لماذا أعطى الله هذه الثروة للدول الإسلامية ؟ حين تفكر في هذا السؤال ، يأتي
أمامنا الحديث النبوي الآتي :

« يوشك أن يحسر الفرات عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً .
ولعل هذا الحديث يشير إلى الذهب السبيل الذي نسميه بالنفط . وهو يعني أن
الثروة التي ستظهر في منطقة الخليج ليست للترف والبلذخ . والذين يزعمون أن هذه
الثروة لتوسيع الحرم الشريف وزين الأماكن المقدسة عليهم أن يتدبروا الآية ١٩ من
سورة النوبة التي تقول :

(أجعلنم سفاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيل الله . لا يستوون عند الله . والله لا يهدي القوم الظالمين) .

إن الحقيقة هي أن هذه الثروة الطبيعية بديل للمسلمين عن تخلفهم الصناعي .
لقد كان المسلمون متخلفين عن الشعوب الأخرى في الصناعة والاقتصاد ، ولذلك
تجرأ بعض الخبراء الغربيين على القول بأن البلاد الإسلامية لن تجاري الغرب اقتصادياً
- لأنها لو دخلت العصر الصناعي مشى الأنفس يكون العالم الصناعي قد دخل عصر
ما بعد الصناعة .

ولكن ظهور ثروة النفط قد قلب هذا الوضع فجأة .

فيقول التقرير ١٧٧ (١٩٧٤) للبنك الدولي : إن الدول المصدرة للنفط
نحسكهم في ٨٥ في المائة من تجارة النفط العالمية . وهكذا حصلت بلاد النفط على
نفوذ اقتصادي في عالم اليوم ، بتدبير إلهي محض .

إن ثروة النفط قد مكنت الدول الإسلامية من دفع أغلى الثمن لتأدية المسؤولية التي كلفها ربها بها ، وهي إبلاغ شعوب الأرض برسالة الله ، وإبلاغ الناس بأنهم عائدون الي ربهم بعد اثبت لتبحاسيهم على أعمالهم في الدنيا .

ولم يكن المسلمون بمقارين على تأدية هذه المسؤولية اقتصادياً ، على أعلى المستويات في العصر الحديث . ولكن الله تعالى قد أنهى عذرهم بأن أعطاهم خزائن العصر الصناعي . وهذا الحدث ، في بوعينه ، يوافق تماماً ما حدث مع بني اسرائيل قبل أربعة آلاف سنة . فحين خرج بنو اسرائيل من مناطق مصر الخصبة الي صحراء سباء وجدوا أنفسهم محرومين من كل الوسائل الاقتصادية . وفي ذلك الوقت فضى الله تعالى على حرمانهم الاقتصادي في الصحراء بأن أنزل عليهم المن والسلوى من السماء . وهذه صور غير عادية للنصرة الالهية . والجماعة التي لا نفي بمسؤولياتها الدينية ، بعد الحصول على مثل هذه النصرة الالهية الخارقة للعادة ، تصبح عند الله مجرمة فلا يسمع منها عذر . ان الله تعالى قد ألزم بتوفير الامكانيات لحملة الكتاب . وكل ما يبقى بعد توفير الامكانيات فهو من واجبات حملة الرسالة . وكلما زادت الامكانيات زادت مسؤولية حملة الرسالة .

فوموا لفضايا الحياة الأبدية

لو شوهدت الأقنعي في بيت من البيوت متحد كل كبير وصغير بهيب لقتل الأقنعي بالعصي والأحجار ، ولكنهم لا يقبلون على العمل البناء الصامت يمثل هذه الحركة . وهذا ما يطبق على الحركات الاسلامية المعاصرة . فهي لم تقم لأجل فكر إسلامي إيجابي بل قامت رداً على عوامل خارجية محضة ، كاعتداء شعوب الغرب على أوطاننا ، والعدوان الاسرائيلي ، والمذابح الطائفية والخسارة السياسية أو

الإقتصادية . وأصبحت حركات رد الفعل على هذه الأحداث تسمى بالحركات الإسلامية.

وهناك فروق شاسعة بين هذه الحركات نفسها ، فمنها حركات منطرفة وأخرى تظهر بالثوب الفلسفي ، وبعضها بنادي بالقرآن والإسلام ، بينما البعض الآخر بنادي بالقومية والوطن ، وبعضها بنادي بالهجوم ، وآخرون بنادون بحفظ الحقوق . ولكن هناك قاسماً مشتركاً بين كل هذه الحركات ، وهو أن الدافع المحرك لها كلها ليس إلا الأحداث الدنيوية الخارجية وليست رسالة الإسلام الأبدية.

إن للإنسان قضية أبدية واحدة في نظر الإسلام ، والمسلم دائماً يقوم لها وحدها ، ألا وهي قضية الآخرة . إن الخائف لم يخلق الإنسان كالأشجار والطيور والحيوانات ، بل خلقه كمخلوق مسؤول . وما الحياة الدنيا إلا فترة امتحان واختبار . والإنسان لا ينتهي حين يعبر بوابة الموت ، بل هو يمثل بين يدي ربه للحساب عن حياته الدنيوية . وبعد ذلك تبدأ الحياة الأبدية ، في الجنة أو الجحيم ، حسب أعمال كل فرد على حدة.

والحركة الإسلامية تقوم لإنذار البشر بهذه القضية البالغة الخطورة . إن المسلم لا يصوغ فكره بالانفعال مع القضايا الدنيوية المؤقتة ، بل هو يصوغ فكره في ضوء حقائق الحياة الأبدية . إن المسلم يصبر على المصائب الخارجية حتى لا ينصرف عن رسالته الخفية . إنه يتفق كل طاقاته لهدف واحد لأنه يعرف جيداً أن كل الأبواب الأخرى ممتنعة له بتأديته هذه المسؤولية الأساسية . إن المسلم يعمل لأجل قضايا الحياة الأبدية وليس لأجل القضايا المؤقتة . وحين يواجه الإنسان قضايا الحياة البالغة الخطورة ، فالأحمق وحده يستطيع أن يصرف طاقاته لقضايا المؤقتة.

إن رسالة الأمة المسلمة أن تنذر البشر يوم الآخرة ، ولو فتحنا الصراع مع الآخرين لأجل القضايا الدنيوية فسنعرض على الجو الذي يتبع لفت أنظارهم نحو القضايا الأخروية.

إن الدعوة التي تصاحب الصراعات السياسية والإقتصادية ليست من الدعوة في شيء بل هي مسرحية ساخرة.

★ ★ ★

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٩٩٢م - ١٤١٣هـ

- القاهرة -

عنوان المؤلف

ISLAMIC CENTRE

C - 29 NIZAMUDDIN WEST

NEW DELHI - 110013 INDIA

TEL 697333 / 611128

إمكانات جديدة للدعوة

الحركة الإسلامية تقوم لإنذار البشر بهذه القضية البالغة الخطورة. إن المسلم لا يصوغ فكره بالإنفعال مع القضايا الدنيوية المؤقتة، بل هو يصوغ فكره في ضوء حقائق الحياة الأبدية. إن المسلم يصبر على المصائب الخارجية حتى لا ينصرف عن رسالته الحقيقية. إنه ينفق كل طاقاته لهدف واحد لأنه يعرف جيداً أن كل الأبواب الأخرى ستفتح له بتأديته هذه المسؤولية الأساسية. إن المسلم يعمل لأجل قضايا الحياة الأبدية وليس لأجل القضايا المؤقتة. وحين يواجه الإنسان قضايا الحياة الأبدية البالغة الخطورة، فالأحمق وحده يستطيع أن يصرف طاقاته للقضايا المؤقتة.

إن رسالة الأمة المسلمة أن تنذر البشر بيوم الآخرة، ولو فتحنا الصراع مع الآخرين لأجل القضايا الدنيوية فسنقضي على الجو الذي يتيح لفت أنظارهم نحو القضايا الأخروية.

الناشر

الرسالة للإعلام الدولي

٧ ش الشيخ محمد النادي - مكرم عبيد - مدينة نصر

٢٦٢٢٨٤٠ - ٢٦٢٨٤٩٩ - ٢٦٢٣١٠٥ (٢)

تصميم وتغليف ...

مركز فجر للجمع التصويري

Fagr Center For Photo Composing

١٠ ش. علي إبراهيم راسم - مصر الجديدة - خلف مستشفى مطروكس

طبع بمطابع هليوبوليس (٢) ٢٤٢٢٢٤٩